أبحاث ندوة عمارة المساجد، م ٥ أ، ص ص ٩٥-١١٢، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود (١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م)

الوظيفية في العمارة الإسلامية: دراسة تحليلية للقيم والاعتبارات الوظيفية، والجمالية في تصميم الصحن ونافورة الوضوء الوسطية في المساجد

أحمد عبد الملك عفيفي

قسم العمارة، كلية الفنون الجميلة، جامعة حلوان

القاهرة, جمهورية مصر العربية

ملخص البحث: يهتم هذا البحث بدراسة العديد من الآراء التي كتب عنها المستشرقون في موضوع العمارة الإسلامية ومحاولتهم تجريدها من علاقتها ومبادئها الوظيفية على حساب النواحي الجمالية والزخرفية. كما يهتم بدراسة الدور الذي تلعبه المياه في حياة الإنسان المسلم بصفة خاصة وانعكاسها على تصميم بعض المساجد الجامعة في مصر خلال عدة عصور وهو ما أدى بالمعماري المسلم إلى التفكير في إقامة نوافير – ميضأة – داخل هذه المساجد. ويركز البحث أيضاً على "الأهمية الوظيفية" لهذه النوافير التي تنبع من أهمية استخدام المياه في عملية الوضوء بالمساجد حيث جاءت هذه النافورات "كوعاء حاوي" لها وعلى قدر أهمية "المحتوى" جاءت أهمية تصميم الوعاء. فعمارة النافورة جزء مكمل لعمارة المساجد على أفضل وجه. ويستعرض البحث تطور تصميم هذه النافورات في خمسة مساجد مصرية تم عمل توثيق لها، مع الاهتمام بتحليل هذه الحالات للوصول إلى أهداف تصميمها, والتي أنشئت أساساً لتحقيق الاعتبارات الوظيفية والتي حاول البعض من مفكري الغرب "المستشرقين" إغفال أهميتها.

يهدف هذا البحث إلى (١) الرد على الأقوال والآراء الخاطئة "عن عمارة المساجد" والتي سببها عدم دراستهم المتأنية لخصائص المدينة العربية ومبانيها وبخاصة "المساجد" وعدم فهمهم للقواعد والاعتبارات التي فرضها الدين الإسلامي على نظم التخطيط والبناء والعمران للمدينة ومحتوياتها؛ (٢) الرد على أن "الاعتبارات الوظيفية" وبخاصة في تصميم الميضأة الوسطى/النافورة جاءت في المقدمة على حساب باقي الاعتبارات الأخرى "الجمالية – النفسية – الروحية" والتي تجسدت من خلال عملية التحليل حيث ظهر بوضوح هذا الاعتبار الوظيفي الهام؛ (٣) يهتم هذا البحث بالإضافة إلى الدفاع عن علاقة العمارة الإسلامية بالوظيفية بأهمية إعادة التفكير في استخدام هذه النافورة/الميضأة، والتي تعد جزءاً هاماً مدخلا في عملية "إحياء القيم الإسلامية" الرفيعة في مدننا العربية الإسلامية بل وفي عمارتنا الإسلامية المعاصرة أيضاً.

من خلال ما تم استعراضه من نماذج معمارية مميزة تتضح لنا أهمية علاقة تصميم النافورة بالاعتبارات الوظيفية في المقام الأول والتي استخدمها السلف المعماري الصالح، بينما أغفلها المستشرقون، بالإضافة إلى أن الباحث يؤكد على أهمية العودة إلى استخدام مثل هذه عنصر النافورة/الميضأة في مساجدنا الحديثة، كما يدعو إلى الاهتمام بعمليات الترميم والحفاظ على العديد من هذه النافورات القديمة سواء الموجودة في المساجد المصرية أو في العديد من مساجد العالم الإسلامي باعتبارها جزءاً من الثروة الحضارية والمعمارية والفنية الإسلامية إضافة إلى اعتبارها جزءاً من التراث الإنساني الحضاري العالمي الذي تركة المسلمون في العديد من دول العالم.

المقدمة

أثارت العديد من الندوات والمناقشات والأبحاث المعمارية المعاصرة. العديد من الآراء حول وجهات النظر المتعددة في موضوع علاقة العديد من المنشآت الدينية كالمساجد، والمدنية كالمباني العامة ودور المعاملة والمساكن وهل يتم تسميتها "بالعمارة الإسلامية " أم "بالعمارة العربية" أم من الأفضل تسميتها "عمارة المسلمين؟"

ولقد تطرقت بعض البحوث الأخرى والتي تتحدث عن نشأة المدينة الإسلامية أو العربية (أيا كانت التسمية) وتطورها وارتباطها الوثيق بالعقيدة الإسلامية والتي تعتبر الإطار المنظم لحركة العمران فيها وأهمية وجود محاور وشروط أساسية لعملية تخطيطها. والتي يجب اتباعها من قبل الحاكم أو ولي الأمر. ويجئ على رأس هذه الشروط:

١ – أن يؤمن لها الماء العذب للشرب حتى يسهل تناوله من غير عناء.

٢ – أن يقدر طرقها وشوارعها حتى تتناسب ولا تضيق.

٣ – أن يبني جامع للصلاة في وسطها ليتعرف عليه جميع أهلها. وغير ذلك من الشروط والمحاور التي يمكن الرجوع إليها في العديد من المصادر المختصة بتخطيط وعمارة المدينة الإسلامية.[١، ص ص ٩٦] [٢، ص ص ٩٧]

وتطرقت بعض هذه المناقشات المعمارية إلى دراسة لآراء بعض المستشرقين والذين نظروا وقاموا بدراسة وتحليل العديد من العمائر الإسلامية (وخاصة عمارة المسجد) على أنها مباني تميزت بالتركيز على الجزئيات والتفاصيل المعمارية والاهتمام بالقيم الجمالية أكثر من تركيزها على الناحية الوظيفية النفعية.

ولقد اتهموا معماريها المسلمين بعدم اهتمامهم بالتكوين الكلي للعمل المعماري؟، عكس ما تميزت به العمارة الأوربية عامة (مثل المعابد الإغريقية أو الرومانية أو الكنائس الأولى والبازيليكات ، والتي تميزت – من وجهة نظرهم – بصفات محورية وخصائص أخرى غير العمارة الإسلامية. ولقد تمادى البعض منهم في المبالغة، في ربط وتحليل تصميم المسجد (على سبيل المثال) ووجود الأربعة أواوين الأساسية المكونة له بأنها ترمز إلى الزيجات الأربعة للمسلم في الدين الإسلامي! ووصل الأمر أيضا إلى حديثهم عن عدم أهمية استخدام القبة في العمارة الإسلامية. ولقد امتد حديثهم إلى أن العمارة الإسلامية تميزت بعدم وجود أي علاقة بين الشكل القائم والوظيفة المخصصة له.

الهدف

يهدف هذا البحث إلى:

١ – الرد على بعض تلك الأقوال والاعتبارات المغلوطة والتي جاءت لعدم وجود نظرة شمولية للمدينة العربية ككل أو ككيان خاص ووعاء عضوي كبير يؤثر ويتأثر بمن فيه ومن حوله إضافة لعدم دراستهم المتأنية لمبانيها وخاصة المسجد الجامع فيها وأهمية وجود الصحن في وسطه كأحد المعالجات المناخية والوظيفية الهامة فيه

وعدم فهمهم لأهمية القواعد والأسس والاعتبارات التي رسمها الدين الإسلامي الحنيف للمسلم فسار على هداها في التخطيط والتصميم والبناء.

٢ - كما يحاول هذا البحث أيضاً دراسة علاقة مبادئ وقواعد الوظيفة بتصميم مباني العمارة الإسلامية وخاصة عمارة المسجد لاثبات مدى ملاءمة أو اختلاف هذه المنشآت المعمارية الإسلامية الخالدة مع هذه النظرية الهامة. وهل نجحت ونجح المعماري المسلم سواء المعاصر أو القديم في الرد عملياً أو نظرياً على هذه الادعاءات؟. مع دراسة هل حققت تصميماته أو مبانيه العديد من الاعتبارات التصميمية الأخرى أم لا؟.

٣ - كما يهدف البحث إلى الرد على مشكلة التشكيك في تركيز المعماريين المسلمين على القيم والأهداف الجمالية للمنشأ على حساب الغرض الوظيفي وذلك بالتركيز على دراسة الاعتبارات الوظيفية في تصميم النافورة/الميضأة والتي توجد دائماً وسط الصحن الخاص بالعديد من المساجد - موضوع الدراسة. والتي يهتم هذا البحث بتوثيق وتوفير بعض الرسومات الخاصة بها، وذلك كرد عملي على اهتمام المعماري المسلم بها واحترامه لوظيفتها واعترافاً منه بأهمية الماء في الإسلام وفي عملية الوضوء بصفة خاصة وهي العملية الأساسية اللازمة للصلاة في المسجد.

منهجية البحث

ويرتكز محور البحث الأساسي في هذه الورقة على دراسة تصميم إحدى الجزئيات المهمة التي تتعلق بأحد أركان الإسلام الخمسة الأساسية، والتي لا تكتمل بدونها عملية الصلاة أو قراءة القرآن الكريم, ألا وهي "نافورة الوضوء" أو ما يسمى "بالفوارة" وهي أحد الأشكال المطور ة للميضأة التقليدية - والموجودة في صحن العديد من المساجد القديمة والمهمة مثل: مدرسة ومسجد السلطان حسن، مسجد محمد علي بالقلعة، مسجد المؤيد شيخ، مسجد عمرو بن العاص ومسجد ابن طولون وغيرها بالقاهرة.

ويهتم هذا البحث في منهجيته بجمع وتحليل مجموعة من النماذج المعمارية المتعددة لهذه النوافير الخاصة بالوضوء في العديد من المساجد المصرية الكبرى السابق ذكرها، وعن طريق دراسة ومراجعة تصميم هذا العنصر المعماري المهم ومعرفة مكوناتها والغرض المقامة من أجله الوظيفة، ولماذا اختير وضعها في صحن المسجد. ولماذا أخذت هذا الشكل المعماري المميز الفريد؟. مع دراسة باقي الاعتبارات التصميمية الخاصة بها، والتي لم يهتم هؤلاء المستشرقون وغيرهم بالنظر إلى دراستها قط!.

ويهدف البحث في النهاية إلى إيضاح كل هذه الاعتبارات التصميمية المهمة المتعلقة بهذا الجزء المهم من عمارة المسجد مع مراجعة وتقييم هذه الاعتبارات الوظيفية لهذه الجزئية المعمارية وذلك لبيان حالتها والخروج بمجموعة من النتائج والتوصيات اللازمة للتفكير في إعادة استخدام مثل هذه النوافير الخاصة بالوضوء وذلك نظراً لإقبال

الكثير من الجمهور على استخدامها لما توفره لهم من اعتبارات وظيفية وجمالية ونفسية في العديد من المساجد التي تقام فيها.

علاقة الفناء/الصحن

تتميز مساقط المباني العربية والإسلامية على اختلاف أنواعها (دينية أو دنيوية) بوجود صحن أو فناء مكشوف يتوسط كتلة المبنى كله – وتلتف حوله بقية الوحدات والعناصر المعمارية في البناء سواء الرئيسية منها أو الثانوية – وذلك كي تستمد منه معظم حاجاتها من الإنارة أو التهوية، وتستمد القليل الباقي من الطرق والشوارع الخارجية المحيطة بالمبنى (وذلك بسبب تميز هذه العمائر الإسلامية بقاعدة الانفتاح على الداخل أساساً).

ويلاحظ من دراسة العديد من هذه العمائر الإسلامية أن ذلك الصحن أو الفناء كان نواة عملية التصميم وذلك على اختلاف أنواع وأغراض هذه المباني سواء كانت مسجداً أو فندقاً أو بيمارستاناً أو قصراً أو داراً أو وكالة أو مسكناً خاصاً لأياً من المسلمين.

ويرجع العديد من الكتاب والباحثين تعلق المسلمين الأوائل بالسماء تعلقاً واضحاً في مبانيهم المتعددة وعمر انهم الواسع الانتشار كنتيجة طبيعية لحبهم والتزامهم بما جاء في القرآن الكريم. فكما يقول أحدهم، "جاءت عمائرهم مفتوحة إلى السماء ومعبرة عن السماء وموجهه لها."[٣] ويقول آخر "تركت صحوناً مكشوفة عارية من السقوف كي تصل قاطنيها بتلك السماء والتي كان البدوي يفزع إليها طلباً للغوث وهرباً من الوحشة.[٤، ص ص١٤]

أهمية الصحن/الفناء في المسجد

تدل العديد من الدراسات التحليلية أو التاريخية للعمائر الإسلامية على أن "الصحن/الفناء" يعد أحد العناصر الأربعة الأساسية (الثوابت) في عمارة المسجد[٥، ص ص١٥] والذي تحيط به الأروقة من عدة جهات وقد يكون مبلطا أو غير ذلك وقد تزرع فيه الأشجار لتعطى ظلا أو لتعطر الجو(مساجد الأندلس). وقد تزرع في بعض أحواضه أزهار يختلط بها الريحان (مساجد تركيا وإيران). ويتضح في العديد من التحليلات أن مساحة الصحن كانت تتراوح ما بين الثلث أو النصف من مساحة المسجد الكلية. حسب نوع المسجد سواء أكان جامعاً أو مسجداً صغيراً. ومما يجدر الإشارة إليه اعتباره أحد أهم العناصر الأساسية في البرنامج المعماري سواء للمباني الدينية كالمساجد أو المدنية كالوكالات والمساكن والبيمارستانات على السواء. وذلك لأنه كان يؤدي العديد من الأهداف المهمة والمتعددة في هذه المباني، الوظيفية و المناخية و البيئية والجمالية والنفسية والرمزية. وهي موضوعات وأهداف مهمة تستحق دراستها و الوقوف عند كل هدف منها على حدة – وهو ما لا يتسع البحث هنا لذكرها تفصيلاً – فضلا عن أنه قد سبق دراستها في العديد من الأبحاث الأخرى وخاصة فيما يتعلق بتصميم

المسكن الخاص أو الحديقة الإسلامية أو في دراسات المدينة العربية/الإسلامية بصفة عامة ويمكن الرجوع إلى العديد من هذه المصادر في ذلك الشأن.[٦]

إن الإسلام دين يقدس الطهارة والنظافة يقول سبحانه وتعالى ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾.[سورة البقرة، آية ٢٢٢] ويقول رسول الله ﷺ"النظافة من الإيمان" ومن ثم فقد أدخل الماء الجاري في تصميم كل مسجد أو جامع سواء في ميضأة الوضوء، والفساقي والنوافير وأحواض المياه في صحن الجامع، والأسبلة الملحقة بالمسجد كما في مساجد العصر المملوكي والعثماني.

ويذكر أحد المصادر المهمة[٥ ص ص١٤] كذلك انتشرت أسواق العطارين والمزينين والحمامات العامة (التي يوجد بها الماء الساخن) قريبة من المسجد، أو على الطرق المؤدية إليه بل إن بعض هذه الحمامات العامة، ارتبط بجسم المسجد كحمام المؤيد بالقاهرة.

يلعب استخدام المياه (سواء للوضوء أو الشرب أو بغرض استخدامه كسطح عاكس للرؤية أو ... الخ) دورا هاما في صحن المسجد ولذلك اهتم المعماري المسلم بها وأحسن في صنع الوعاء الموضوعة فيه (والذي جاء على شكل نافورة المياه/الميضأة -والتي أخذت العديد من الأسماء والأشكال البالغة الجمال- وهو ما نود التنويه له في عجالة في النقطة التالية من البحث.

أهمية استخدام المياه وميضأة الوضوء في المسجد

أهمية المياه

يؤكد القرآن الكريم في العديد من آياته وسوره على ارتباط الحياة بالماء (في أكثر من ستين موضعا) وهما عنصران متلازمان تلازما مطلقا أو أبديا فقد قال القرآن الكريم ﴿وجعلنا من الماء كل شئ حي أفلا يؤمنون﴾[سورة الأنبياء، آية ٣٠] أي أنه لا حياة بدون ماء. وفي موضع أخر يقول جل وعلا ﴿الله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ [سورة النحل آية ٦٥] أي أن الأرض وكل من عليها من إنسان أو حيوان أو نبات لا يحيا بدون الماء. ويتضح لنا من تكرار ارتباط الحياة الأرضية بالماء التركيز على أهمية هذه النعمة/الهبة من الخالق للأرض لتنبت فيها أو تدب فيها الحيلة.

ولقد جاء استخدام الماء في الإسلام خاضعا للعديد من الظروف والاعتبارات المهمة التي تشكل حياة الإنسان المسلم وعمرانه أو عمارته وتنظم استخدامه لهذه النعمة الغالية. فجاء تعامله مع هذه المياه بكل الدقة والاهتمام أو الاحترام الشديد للحفاظ عليها - وخاصة عند العربي - وعرف قيمتها وطريقة استخدامها بل وزاد المسلم على ذلك في الاستمتاع باستخدامها في العديد من الأغراض الأخرى كالطهارة والوضوء (والتي جاء بها الإسلام)

فصمم لها الإناء وأبدع في شكله و تكوينه ودلالته ما بين إناء صغير لعمل الشراب أو طهو الطعام أو تصميم إناء أكبر سواء للاغتسال أو الوضوء – كما هو في حال نافورة الوضوء في المسجد – أو حتى قيامة بوضع تصميمات على أكبر و أعقد المستويات فنظم استخدامها سواءً للشرب أو الري وأقام لها القناطر والسدود والمقاييس التي تحدد وتيسر الانتفاع بها له ولأسرته ولمجتمعه أو لأمته.

فلسفة استخدام المياه في الإسلام

لاستخدام المياه في العمارة الإسلامية " فلسفة خاصة "وهي استخدام أقل كمية من المياه لإيجاد أكبر قدر ممكن من الاستمتاع الحسي والبصري والسمعي"[٧، ص ص ١٠] أضف إلى ذلك الأهمية الخاصة والوظيفية للمياه في الإسلام وهي "عملية التطهر والوضوء" في المسجد وذلك سواء في دورات المياه الخاصة الملحقة ببعض المساجد أو في نافورة المياه الخاصة بالوضوء والتي لوحظ انتشارها بكثرة منذ بناء مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط مروراً بالعديد من المساجد الأخرى كمسجد ابن طولون والسلطان حسن والمؤيد شيخ وآخرها نافورة مسجد محمد علي بالقلعة.

وهناك عدة اعتبارات هامة لاستخدام المياه عند الشروع في وضع أي تصميم لاستخدامها ويرى فيهما اعتباران أساسيان هما:

أ – الاعتبارات البيئية: وخاصة المناخ في المنطقة أو البلد المراد إقامة المشروع فيها.

ب – الاعتبارات الاقتصادية: ومراعاة ندرة المياه الطبيعية في المنطقة العربية.[٦، ٨]

ولقد أفادت العديد من الدراسات العملية أو المعملية أن استخدام النوافير في حيزات مقفولة أو مفتوحة – وبعد أخذ عدة قياسات لها – له آثار قوية في تحسين البيئة المناخية للمناطق ذات الطقس الحار وهو ما يعتبره العديد من الخبراء أحد اتجاهات المعالجة البيئية المهمة والمفيدة في المجتمعات العربية ذات الطقس الحار.

نافورة/قبة الوضوء/الفوارة

حرص الإسلام الحنيف على النظافة وقد اعتنى المعماري المسلم بتخطيط عمائره فحرص على أن تكون دورات المياه في المساجد في جزء بعيد عن أماكن إقامة الصلاة. كما حرص على أن يكون مستواها منخفضاً عن مستوى المسجد نفسه أو قاعة الصلاة. وبمراجعة مجموعة من هذه المساجد في العصور السابقة فقد وجد أن معماريها حرصوا على أن تكون دورات مياه مساجدهم منفصلة عن المسجد نفسه أو خارجة على الأفضل كما اهتموا بعنصر الطهارة والوضوء واختاروا صحن المسجد كمنطقة وسطى ليضعوا فيها ما يسمى بفسقية الوضوء وجعلوا لها سقفاً أفقياً أو قبة وتفننوا في تزيينها وإقامتها وانتقوا لها مجموعة من الأعمدة الرخامية لتحمل هذه القبة أو

السقف وتفننوا في زخرفة هذه القبة وكتبوا عليها العديد من الآيات القرآنية التي تتعلق بالوضوء. حتى تذكر المتوضئ بنعمة الطهارة والوضوء وقراءة القرآن. أثناء وضوءه. وسموا هذه الميضأة أو النافورة "قبة الوضوء" أو النافورة الفوارة.

ويقول أحد المصادر أن هذه النافورات أو غيرها كعناصر عمرانية تعد ترجمة للعديد من الرمزيات والتي ارتبطت وجودها بقلب التشكيل من جهة (أي داخل المسجد).[١، ص ص ٢٣] وكالفراغات المكشوفة للسماء من جهة أخرى، وعليه فقد جاء لها العديد من التسميات فهي: الفوارة في الحوش السكني للبيت، الميضأة في صحن المسجد أو الجامع، السبيل في قلب الشارع أو الحي السكني، الحمام في مركز التجمع العمراني للمدن أو الأحياء.

ويعتقد أن قبة الوضوء الموجودة بمسجد أحمد بن طولون أقدم قبة باقية في الآثار الإسلامية بالقاهرة والتي أقيمت عام ٦٩٦هـ ومن أشهرها قبة نافورة مسجد السلطان حسن ونافورة مسجد المؤيد شيخ ونافورة مسجد محمد علي وغيرها.

ولقد لوحظ أن هذه المياه المستخدمة في الوضوء قد يعاد استخدامها لري الحدائق المحيطة بهذه النافورات كما هو الحال في مسجد المؤيد شيخ. وباقي المياه يعود إلى المجاري العمومية – أو لري أي مناطق خضراء محيطة بالمسجد (كحالة حديقة مسجد بن طولون الخارجية) أو قد توضع في خزان ري خاص ليعاد استخدامهما عند اللزوم في حالات أخرى.

حالات الدراسة لبعض الأفنية ونافورات الوضوء ببعض المساجد المصرية

١ – مسجد عمرو بن العاص – مصر القديمة (٢١ هـ/٦٤٢ مـ)

يعد مسجد عمرو بن العاص أحد أكبر المساجد الأربعة الجامعة الأولى في الإسلام،[٩، ص ص ٦٩] ويقوم تخطيطه على مساحة مستطيلة من الأرض (بلغت أبعادها ٢٩ × ١٧,٥ متر في عهد عمرو بن العاص وزيدت فيما بعد عدة مرات حتى وصلت الآن إلى ١٢٠ × ١٠٠ متراً). يتكون من أربعة أروقة أكبرها رواق منطقة القبلة الرئيسية المغطاة بسقف من الأخشاب أما أغلب المساحة الموجودة في المسجد فقد تركت فضاء أو صحن مكشوف بدون غطاء. وإن كان يتميز بإقامة أول نافورة مياه معروفة للوضوء في ذلك العصر.

والملحوظة التي يجدر ذكرها هو أن تخطيط أول مسجد أقيم في مصر كان التزاماً حقيقياً بإقامة نسخة أو صورة أخرى لمسجد الرسول الكريم ﷺ ولكن على مقياس أخر بسبب تزايد أعداد المسلمين في البلاد التي فتحها المسلمون كما حدث في مصر.

وإن كان الغريب في هذا المسجد من وجهة نظر الباحث، وجود نافورة للمياه في وسط الصحن - والتي يعتقد الباحث أن طريقة إقامتها ومواد البناء المستخدمة فيها تختلف تمام الاختلاف عن تفكير وتخطيط من أقاموا هذا المسجد بتلك الصورة البسيطة وهذا التقشف الواضح المحمود في عمارة المسجد - لم يكن ليفكروا في إقامة مثل هذه النافورات وعمل نظام للصرف والتغذية بالمياه. ووضع قبة على هذا الشكل فوقها, فضلا عن أن خامات النافورة تختلف تماما عن خامات المسجد المقام. ويعتقد الباحث بأن النافورة أقيمت مع إقامة هذا المحراب المجوف الذي وضع فيما بعد بعدة سنوات بعد بناء المسجد.

٢ - مسجد أحمد بن طولون (٢٦٣ هـ/٨٧٦ م)

وتبلغ مساحة المسجد حوالي ٦,٥ فدان ويأخذ شكلا مربعا تقريبا طول ضلعه ١٦٢,٠٠م[٩] ويعد من أكبر المساجد المصرية من حيث المساحة. تأثر في تخطيطه وتصميمه وزخرفته بالعمارة والفنون العراقية كثيرا. ويتكون مسجده من صحن مربع في الوسط وهو فناء مكشوف يبلغ طول ضلعه ٩٢م تقريبا, تحيط به أربعة أروقة أكبرها وأعمقها رواق القبلة وباقي الأروقة الثلاثة أصغر من الإيوان الرئيسي وتتوسط الصحن ميضأة داخل بناء مربع الشكل والمسقط الأفقي لها يبلغ طول ضلعه ١٤،ويتوسطها من الداخل حوض مثمن يملأ للوضوء. وبكل من الجدران الخارجية فتحة مدخل واسعة مرتفعة لها عقد مدبب ذو مركزين. ويغطي هذا المبنى المربع قبة قطاعها مدبب من الآخر وترتفع عن أرضية الصحن بمقدار ٣٣,٠٠ متر ويضاف إلى ذلك ميضأة أخرى ومجموعة من دورات المياه في الناحية الشمالية الغربية خلف المسجد للمحافظة على طهارة الجامع.

ويتميز مسجده بصفة عامة بشكل مئذنته الملوية والمأخوذة عن مسجد سامراء ويبلغ ارتفاعها ٤٠,٥٠م وأخذ نظام واجهة المسجد من عمرو بن العاص. ويعتقد أن نافورة الوضوء الموجودة به أقدم نافورة وضوء بنيت مع المسجد نفسه - وليس بعد بنائه بعدة سنوات في مصر (وإن كان أغرب ما فيها أنها تميزت بشكلها المكعب الذي يحمل قبة فوقه ومسقطها مربع الشكل) وهي صورة لم تتكرر بعد ذلك في العمارة الإسلامية.

٣ - مسجد ومدرسة السلطان حسن (٧٦٩ هـ/١٣٦٢م)

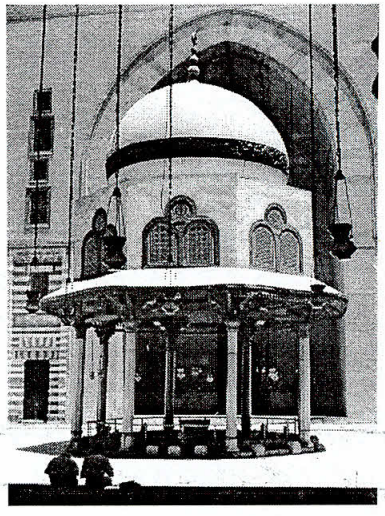
تميزت فترة حكم المماليك بإنشاء العديد من المساجد الكبيرة والتي تميزت بالتنوع والإتقان والمبالغة أحيانا. إلا أنه وبصفة عامة تميزت معظم أو جميع مساجدها بوجود الصحن السماوي والأواوين الأربعة المحيطة به. وتميزت أيضا جميعها بوجود أشكال وأنواع مختلفة من النافورات الخاصة بالوضوء والتي تعتبر أحد معالم ذلك العصر المملوكي.

وتعتبر مجموعة قلاوون ومجموعة برقوق ومسجد السلطان حسن من أشهر المساجد والأعمال المعمارية في ذلك الوقت. وخاصة مسجد السلطان حسن والذي يعده الكثيرون من المعماريين والأثريين -سواء العرب أو

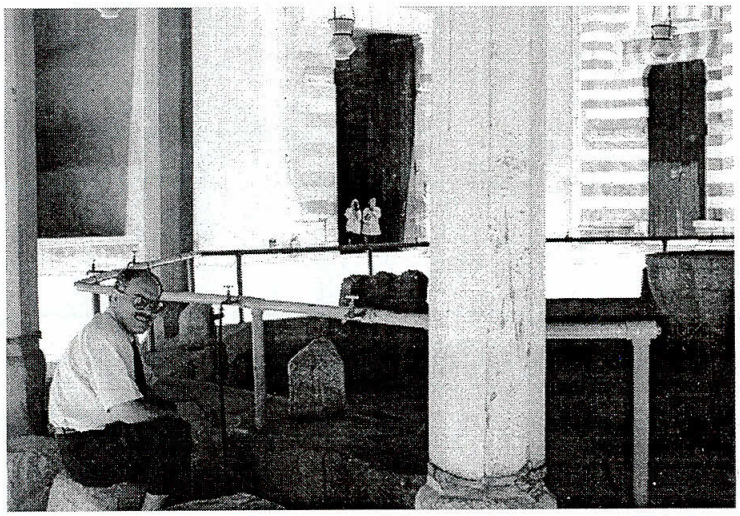
الأجانب- من أجمل مجموعات الآثار الإسلامية في القاهرة - أو هرما إسلاميا-[١٠] بسبب براعة حله المعماري والوظيفي والذي يوضح عبقرية المعماري المسلم منذ أمد بعيد.

ويعد هذا المسجد والمدرسة من أجمل مجموعات الآثار الإسلامية في مدينة القاهرة إذ تجمع مبانيه بين تميزها بقوة البناء وضخامته وفخامته وتميزه بدقة دراسة الواجهات داخل قطعة أرض غير عادية.يتضح في حلولها المعمارية عظمة وعبقرية المعماري المسلم القديم. والتي أصبحت فيما بعد. يتم تدريس هذا الحل المعماري والتخطيطي والبنائي في العديد من مدارس العالم المعمارية المختلفة وصار هذا المسجد مجالا لعشرات الأبحاث والرسائل والدراسات من قبل العرب أو الأجانب على السواء لما فيه من دروس معمارية عظيمة وذات مستوى رائع ولعله أحد أهم الآثار أو المساجد التي أثارت أفكار وآراء الباحثين والدارسين أو المستشرقين الأجانب حتى إنهم استعجبوا لطريقة الحلول المعمارية فيه وعلاقتها بالوظيفة وعلاقة واجهاته الخارجية بما يوجد في الداخل وأهمية أو سبب وجود أربعة أواوين حول الصحن ولماذا استخدمت القبة فيه؟ ولماذا جاءت مداخله منحرفة عن اتجاهات الأيونات الأربعة الداخلية وكيف تم حل ذلك بطريقة سليمة بحيث لا يشعر الداخل إلى المدرسة بوجود أي انحراف فيه؟ (شكل ١- ٢)

لكن ما يهمنا في هذا المسجد أن هؤلاء المستشرقين -وخاصة الذين تكلموا عن الاعتبارات الوظيفية في تصميمه وعدم علاقتها بالواجهات - لم يلتفتوا إلى تصميم الميضأة الموجودة فيه وأهميتها والغرض منها ولماذا جاء التكوين بهذا الشكل الرائع؟ ولماذا الاهتمام بحجمها ووظيفتها الأساسية بوجود عنصر المياه داخل مثل هذا المسجد الضخم؟ ولماذا غطيت بقبة ضخمة فوق ثمانية أعمدة؟ وهل لوجودها تأثير مناخي أو بيئي على المصلين والزوار أم لا؟ وعلاقة ذلك "بالراحة المناخية والحرارية" داخل هذا المسجد بصفة خاصة. ولم يدرسوا أو يكتبوا عن علاقة مسطحها وارتفاعها وحجمها وتكوينها بصحن هذا المسجد؟ وهل لهذه العلاقة أي أهمية أخرى سواء كانت وظيفية أو جمالية؟ أو بيئية ومناخية؟.



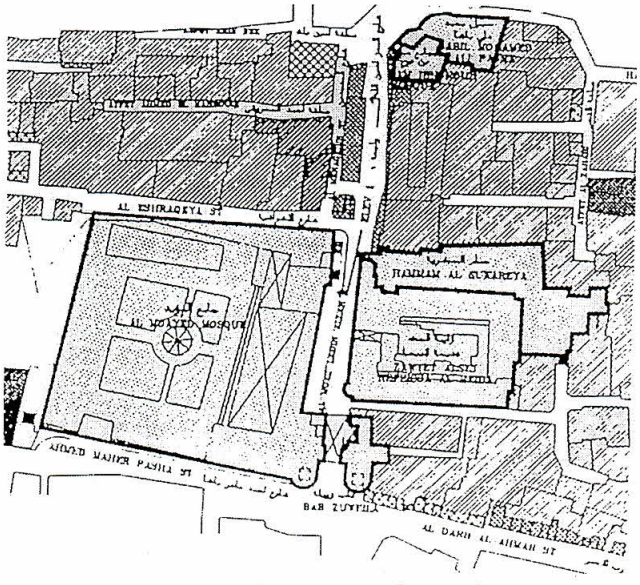
شكل ١ :مسجد ومدرسة السلطان حسن بالقاهرة.



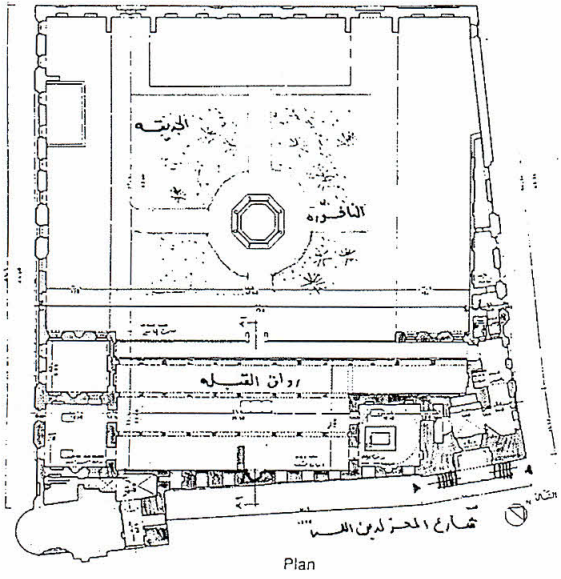
شكل ٢ : الشكل العام للنافورة الوسطية/الميضأة بالصحن.

٤ – مسجد المؤيد شيخ – باب زويلة (٨٣٠ – ١٤٢٠م)

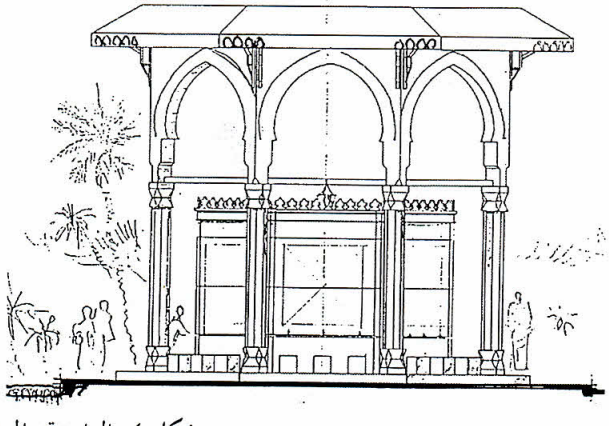
ويعد هذا المسجد أحد أهم أمثلة العمارة في عصر المماليك الجراكسة وهو إحدى التحف المعمارية إذ تميز بجمال وأناقة بنائه وروعة حديقته. والتي تغطي معظم صحنه المكشوف والتي تتوسطها نافورة رخامية بشكل جديد تجلت فيها روعة الصنعة والاهتمام باختيار الخامات التي تم جلبها من الخارج (الرخام الكرارة). حتى صارت حديقة غناء على هذه الربوة العالية للمسجد المرتفع بضعة أمتار عن سطح أرض شارع المعز لدين الله الفاطمي (الغورية) في منطقة باب زويلة بقلب قاهرة المعز (شكل ٣ – ٤).

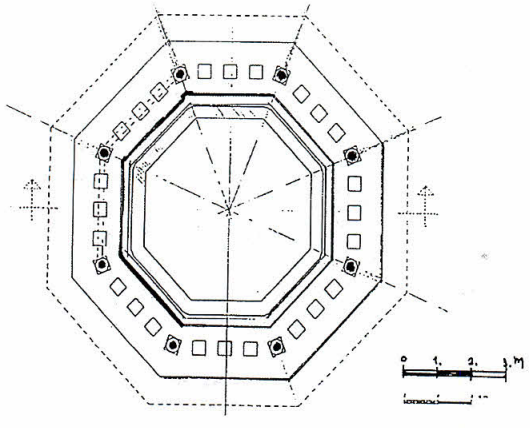


شكل٣ – أ: المسقط العام للمسجد.



شكل ٣–ب: المساقط الأفقية لمسجد المؤيد شيخ، القاهرة.





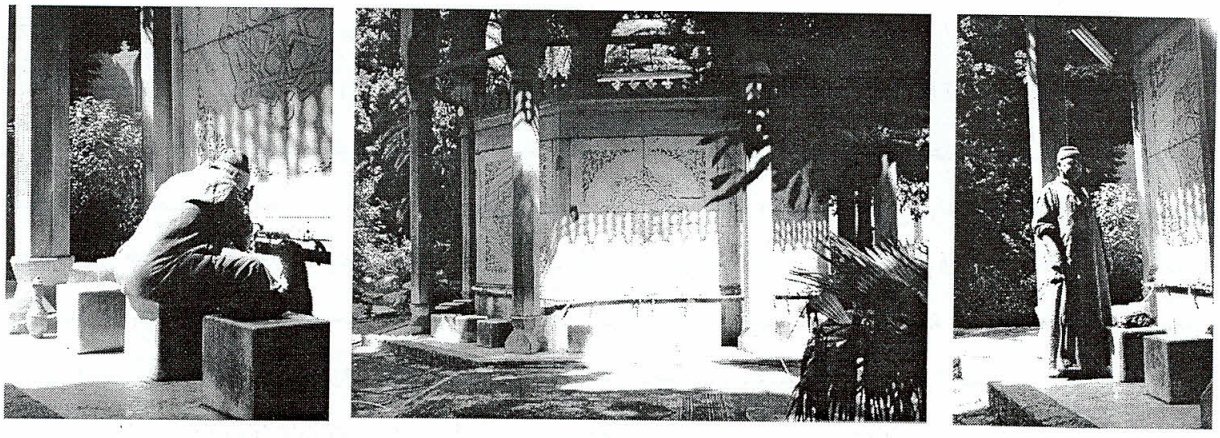
شكل ٤: الواجهة والمسقط الأفقي للنافورة.

ويلاحظ في تخطيط هذا المسجد أنه مربع الشكل تقريبا – ولا يوجد به حاليا إلا رواق واحد للصلاة. وهو رواق القبلة بطول واجهة المسجد الرئيسة المطلة على الشارع ولكن الدخول إليها من خلال مدخل منكسر على

يساره يقع الضريح/المقبرة وعلى يمينه عدة ممرات وقاعات أخرى صغيرة المساحة نسبيا وباقي المساحة ٧٢ × ٥٢م هي للصحن المربع تتوسطه النافورة المميزة وتحيط بها الحديقة الفسيحة القديمة.

ويتميز هذا المسجد بالبساطة في التخطيط. فهو أقرب لشكل مسجد الرسول ﷺ من حيث وجود رواق القبلة فقط (كرواق أساسي) ومن حيث أن هذا الرواق يطل مباشرة على الصحن السماوي والذي يشكل أكثر من ثلاثة أرباع المساحة الكلية للمسجد تقريبا وتقع على أحد أكتاف المسجد المئذنتان الشهيرتان لباب زويلة. وهما رمز مدينة القاهرة. ويختلف عن مسجد الرسول ﷺ في وجود هذه الحديقة الغناء وتلك النافورة الدقيقة التصميم والتي لوحظ فيها استخدام الرخام لتغطية حوائطها كاملة من جميع الجوانب والتي جاء إبداعها في غير تكلف أو مبالغة.

وهو نظام فريد لم نره في مساجد العصر المملوكي على الإطلاق. وربما تم عمل ذلك حتى يتفرع المتوضأ لوضوئه تماما ولا ينشغل بما حوله – وهي النافورة الوحيدة التي لا يوجد بها قبة- وجاء تصميمها من كل نواحي الاستخدام مريحا سواء للمستعملين أو المتوضئ بها. أو حتى الناظرين إليها من أي مكان داخل المسجد ويجئ تميزها أيضا من اختيار الرخام كمادة أساسية لمكوناتها (سواء الأعمدة أو الحوائط أو المقاعد الرخامية ذات النسب الموفقة للاستخدام الأمثل فيها فهي أقرب ما تكون حلا متفوقا وشبه مكتملا ومتميزا من الناحية الوظيفية بالنسبة للاستخدام) (شكل ٥).

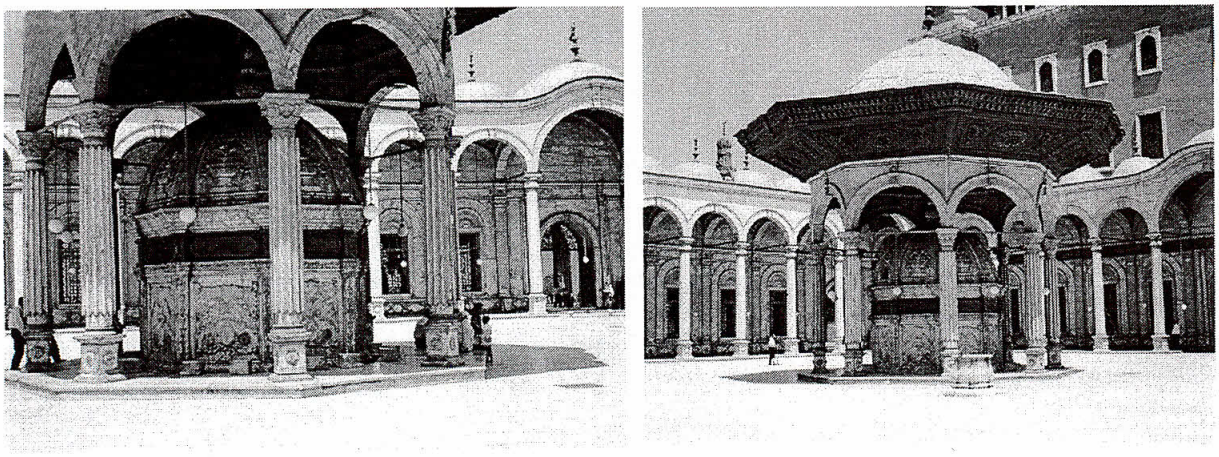


شكل ٥: نافورة مسجد المؤيد شيخ، القاهرة، الزخارف الهندسية في واجهة النافورة.

٥ – مسجد الأمير محمد علي بالقلعة (١٢٥٨هـ/١٨٤٨م)

يعتبر مسجد محمد علي بالقلعة أحد أهم وأجمل الآثار أو النماذج العثمانية في مصر. ويتكون المسجد من صحن رئيس كبير تحيط به عدة أروقة من الأعمدة من كل جانب وله أكثر من مدخل إلى هذا الصحن الذي تتوسطه أحد أجمل النافورات المعروفة.

ويتميز هذا المسجد في كل عناصره بالجمال والأناقة وبقوة النسب المعمارية ورشاقتها في كل جزء من أجزاءه ويسميه البعض (مسجد المرمر)[٤] لكثرة ما استخدم فيه من المرمر في كل حوائطه ومحاريبه وعقوده وأعمدته وأكثرها تميزا تلك النافورة الرائعة التي بلغت العمارة فيها وفي رشاقتها قمة التناسق والقوة الإنشائية ومع أصغر قطاعات معمارية ممكنة للأعمدة الحاملة للمظلة والقبة الموجودتين أعلا النافورة (شكل٦).



شكل ٦: نافورة محمد علي بالقلعة (لقطات مختلفة من عدة زوايا).

ويرى الباحث من وجهة نظره أن هذه النافورة في حد ذاتها إحدى آيات الجمال المعماري والفني والتقني من ناحية التركيب والتفاصيل بالنسبة لذلك العصر الذي يصعب وصفه ويفضل رؤيته على أي حال. وتتميز هذه النافورة أيضا بوجود حوائط تبرز منها صنابير المياه في صورة تشكيلية رائعة وتعلوها قبة أصغر تحيطها الأعمدة والتي تعمل إطارا أو سقفا آخر تعلوه قبة أخرى أكبر منها (وهذا السقف البارز والقبة الأعلى منه يجسدان معا شكل إحدى العمائم أو أغطية الرأس المميزة في ذلك العصر). مع وجود عدة مقاعد من الرخام لجلوس المتوضئين عليها حول النافورة. ويوجد بجوارها بئر يقال إنها حفرت خصيصا لتزويد النافورة بالمياه فوق هذه الهضبة المرتفعة من القاهرة. وإن كان يلاحظ في هذا المسجد شدة تميزه بالزخارف المتأثرة بالعمارة الأوربية والتي أخذت النافورة نفسها قسطا كبيرا من هذه الزخارف المتنوعة. والتي مازالت تثير دهشة وإعجاب كل الزائرين.

تحليل القيم والاعتبارات الوظيفية والجمالية في النافورة الوسطية

من الدراسة السابقة عن أهمية المياه في الإسلام ومن استعراض النماذج المعمارية لمجموعة النافورات/الميضأة والتي وجدت خلال عدة مراحل من تطور المساجد نفسها فإنه يمكن استخلاص مجموعة من النقاط التالية:

أولا : مكونات النافورة / الميضأة. وموضعها بالنسبة للصحن.

ثانيا: الأغراض الوظيفية للنافورة وأنواعها.

ثالثا: الاعتبارات الهندسية والجمالية والرمزية والبيئية للنافورة.

رابعا: بعض العلاقات الأخرى.

مكونات النافورة/الميضأة وعلاقتها بالصحن

تعد النافورة أساسا حوضا كبيرا للوضوء. يأخذ العديد من الأشكال الهندسية (المثمن- المربع أو الدائرة ...) ويعد الغرض الرئيس منه تسهيل عملية الوضوء اللازم لأداء الصلاة. وتتكون من:

١ - القاعدة الرئيسة: توجد قاعدة محيطة بالنافورة كلها ترتفع عن سطح الأرض ولو بدرجة واحدة (١٥-٢٠سم) وتوضع فوقها هذه المقاعد الحجرية أو الرخامية الخاصة بالوضوء وتميز النافورة عن باقي سطح الصحن أو المنطقة المزروعة حولها.

٢ - جسم النافورة: وهو البدن الأساسي للنافورة ويواجه مجموعة المتوضئين وقد يكون هذا الجدار مفتوحا فيشاهدون بعضهم البعض (كما في بعض المساجد) أو قد يمتد الجدار إلى أعلى من ذلك وحتى مستوى سقف النافورة. وعليه فإنه يمكن تقسيم النافورات إلى نوعين أساسين:

أ - النافورة المفتوحة الجدار.

ب - النافورة المغلقة الجدار.

٣ - الأعمدة المحيطة: توجد مجموعة من الأعمدة الحاملة المحيطة بالنافورة (ووجد أن عددها ثمانية في أغلب حالات الدراسة) والتي تقوم بحمل السقف العلوي للنافورة.

٤ - السقف الرئيسي: وهو الذي يغطي جسم النافورة وهذا السقف له أكثر من فائدة مثل:

أ - منع سقوط أشعة الشمس على الجالس للوضوء.

ب - يستخدم أيضا للمساعدة في تلطيف الجو للمنطقة المحيطة بالنافورة ولتقليل سرعة تبخر المياه الموجودة بالمنطقة ولتلطيف درجة حرارة الخزانات الموجود بها المياه الخاصة بالوضوء.

جـ - يميز وجود هذا السقف نافورة الوضوء عن باقي أنواع النافورات الأخرى المخصصة للزينة. والتي يراد منها الاستمتاع الحسي أو البصري والصوتي للمياه.

قد يأخذ سقف أو غطاء النافورة عدة أشكال مختلفة فقد تكون القبة الرمزية فوقها أو قد يكون سقفا أفقيا تحمله مجموعة من الكوابيل الجانبية التي تحيط به من جميع الاتجاهات للحماية من أشعة الشمس وقد يكون غالبا من الخشب المغطي بطبقات أخرى من الأخشاب الحامية له أو قد يتم تكسيته بألواح الرخام أو أي مادة أخرى مناسبة للشكل العام والنافورة والجزء المحيط بها من صحن المسجد.

٥ - مجموعة المقاعد الحجرية: توجد مجموعة من المقاعد الرخامية أو الحجرية (التي تأخذ أشكالا كتليه مكعبة أو دائرية) بين هذه الأعمدة وأمام كل صنبور من صنابير المياه تمكن المتوضئ من الجلوس عليها براحة

تامة أثناء الوضوء وتبلغ متوسط أبعاد هذه المقاعد ٤٠ × ٤٠ × ٥٠ سم. وتختلف أعدادها حسب تصميم النافورة.

٦ – خط المياه (التغذية والصرف): وتوجد في أية نافورة خط أو ماسورة مياه تغذية بالمياه العذبة اللازمة للوضوء به مجموعة من الصنابير – على ارتفاع أعلى من مستوى يد المتوضئ وعلى منسوب + ٠,٧٥م من سطح مستوى أرضية النافورة + مجرى آخر أسفله لصرف المياه إلى مخارجها المطلوبة والتي تقوم بنقلها إلى المجاري العمومية أو إلى الحديقة الملحقة بالمسجد أو قد يتم تخزين هذه المياه في خزانات أو صهاريج أرضية لإعادة استخدامها سواء في ري الأراضي أو الحدائق القريبة أو إعادة استخدامها بعد تكريرها إن أمكن.

٧ – الاعتبارات الفنية والهندسية: يلاحظ أن جميع الأعمدة والمقاعد والحوائط الموجودة بالنافورة تستخدم المواد التي لها القدرة على التحمل مع الاستعمال للتعامل مع المياه وأغلب هذه النوافير استخدم فيها أنواع متعددة من الرخام (الكرارة أو المرمر) أو الأنواع الممتازة من الأحجار الصلبة.

الأغراض الوظيفية للنافورة

١ – وجدت النافورة كحل لفلسفة استخدام المياه في الإسلام وكحل وظيفي أولا لمشكلة الوضوء في المسجد بصفة عامة وإن اتخذت تصميماتها أشكالا جمالية وفنية وقيم تشكيلية و رمزية معينة تنبع من اعتبارات التصميم المعماري أساسا.

٢ – تعد وظيفة النافورة الفوارة جزءا من وظيفة المسجد نفسه فإذا كان المسجد للصلاة والعبادة فالنافورة هنا مخصصة للوضوء. ولا صلاة بدون وضوء. ولا مس للمصحف بدون وضوء.

٣ – تتفق جميع الأهداف الوظيفية المستخدمة في النوافير وان اختلفت أشكالها وطرق معالجتها من مكان لآخر ومن زمان إلى آخر. وتتميز جميعها بوجود قبة أو سقف أفقي مسطح أعلاها للتغطية.

٤ – تفضيل الشكل المتعدد الأضلاع (وخاصة الثماني) لجميع النافورات – (عدا نافورة بن طولون) وذلك لأنه يحقق العديد من الاعتبارات الوظيفية والجمالية والنفسية.

الاعتبارات الهندسية والجمالية والرمزية للنافورة

١ – يعد اختيار موقعها في وسط الصحن من الاختيارات الموفقة بسبب سهولة الوصول إليها أساسا بالإضافة إلى مراعاة عدة اعتبارات أخرى سواء مناخية أو بيئية أو جمالية وتشكيلية بما يليق بمكانة الماء في الإسلام وأهمية الحفاظ عليه ولذلك فقد جاء الوعاء الحاوي له (النافورة الميضأة) على نفس القدر من الأهمية الجمالية والتشكيلية عند المعماري المسلم فتفنن في صنعها وصياغتها كقيمة دينية وجمالية رفيعة.

٢- لوحظ وجود العديد من الاعتبارات الفنية الأخرى الواجب توافرها في عملية التصميم في أهمية وجود فراغات محددة بين مقاعد الوضوء أو بين مقعد الوضوء والجدار المقابل له والموجود به مصدر المياه (الصنابير) بما يسمح بسهولة الحركة للمتوضئ.

٣ - لا توجد علاقة بين مسطح النافورة ومسطح الصحن وإن كان هناك علاقة بين حجم النافورة ومقياسها وحجم الصحن وارتفاعه. لكنها علاقة تختلف باختلاف فكر المصمم نفسه وظروف الموقع (فبعضها يبدو كبير نسبيا مقارنة بحجم الصحن كما في مسجد السلطان حسن). وهناك النافورة التي تتناسب بدرجة كبيرة مع حجم الصحن كما في مسجد محمد علي. أما نافورة مسجد المؤيد شيخ فحجمها متوسط بالنسبة للصحن.

٤ - لا يوجد ارتفاع محدد لبدن النافورات ولكن يلاحظ أن أغلب أعمدتها روعي فيها الإحساس بالمقياس الإنساني وأن لا تزيد عن ضعف ارتفاع الإنسان المتوسط (في حدود ١,٧٥م) ثم تبدأ بعد ذلك الاختلافات في ارتفاع العقود التي يحملها والتي تختلف ارتفاعاتها أيضا حسب المسافة بين الأعمدة وحسب نوع العقود نفسها ثم يلي ذلك السقف. ويلاحظ - أيضا - تساوي عرضها مع ارتفاعاها أو قطرها وتتراوح تقريبا بين ٧ × ٧ إلى ٩ × ٩م أغلبها يستمد من تناسق النسبة المعمارية والتناسب بين أبعاد مكوناتها وبعضها البعض.

٥ - يتميز الشكل الثماني الأضلاع بأنه أفضل الأشكال الهندسية والتي يحقق استخدامها وجود أكبر عدد ممكن من المتوضئين والذين يسهل أن يتحلقوا حولها مع تحقيق قدر كبير من الترابط بينهم. وعلى سبيل المثال فهي أفضل من المربع أو المثلث أو المستطيل.

٦ - للشكل المثمن مزايا أخرى تشكيلية وزخرفية ورمزية فهو سهل الاتحاد مع باقي الأشكال الهندسية التي يمكن جمعها معه. هذا فضلا عن أنه أحد الأجسام أو الأشكال المتعددة الأضلاع والتي يمكن رؤية ثلاثة أضلاع منه في وقت واحد. ولذلك كثر استخدامه كوحدة تشكيلية أو زخرفية في النوافير والتحف أو الزخارف في الأسقف وغيرها.

٧ - يعطي الشكل الثماني الأضلاع سهولة في وضع الأعمدة الحاملة للسقف حوله كما أنه يعطي أقصر مسافة للكمرات أو العقود الرابطة والحاملة للسقف ممكنة مما لو كان مربعا مثلا أو مستطيلا.

٨ - استخدمت أنواع أخرى من النافورات (الغير مخصصة للوضوء) داخل العديد من مباني الوكالات (كوكالة الغوري مثلا) أو غيرها لأهداف أخرى كالاستمتاع البصري والحسي والصوتي بالمياه أثناء جريانها وخريرها وما نتج عنها من أصوات أو انعكاسات أو تحريك للمحيط العام وبخاصة في حالة وضعها في منطقة الوسط فتصبح بؤرة جذب داخل هذا الفراغ الداخلي العام فتزيده حيوية وجمالا للناظرين.

٩ – بالنسبة للزخارف أو التشكيلات الفنية الموجود عليها فإن أغلبها كتابات قرآنية تتعلق بالوضوء وكذلك على الإطارات البارزة من النافورة أو القباب التي تغطيها وبعضها لا يوجد بها أي كتابات على الرخام أو خلافه.

بعض الاعتبارات الفنية الأخرى

وجدت بعض العناصر/الإضافات الخاصة لبعض هذه النوافير مثل وجود خطافات معدنية (أماكن تعليق الملابس الثقيلة أو أغطية الرأس أو أي ملابس أخرى يتم خلعها أثناء الوضوء). مما يعطي المتوضئ حرية خاصة في الحركة بعد تعليقه لبعض هذه الملابس التي قد تعيق حركته – كالجبة والمعطف والعمامة أو الشال أو النظارات أو الساعات – وعدم التقيد بهذه الملابس أثناء والوضوء وهو ما لا يوجد في الميضأة العادية الملحقة بالعديد من المساجد الحديثة.

الخلاصة والاستنتاج

١ – تجئ تصميم الميضأة/النافورة كحل لعدة اعتبارات أساسية هامة:

أ – الأول: المشكلة الوظيفية – لاستخدام المياه في المسجد بغرض الوضوء: وهو أحد الأهداف الأساسية لعملية التصميم المعماري لها. وهو أحد المعايير المهمة في تقييم نجاح أو عمل المسجد نفسه.

ب – الثاني: مشكلة تحقيق الطابع المميز لها وسط الصحن: ويندرج تحت مشكلة تحقيق طابع معماري لها أن هناك علاقة مهمة بين شكل النافورة نفسها والشكل المعماري للأروقة أو العقود المحيطة بالصحن المحيط بها.

هناك علاقة أيضا بين النواحي الفنية والتشكيلية والزخرفية الموجودة في المسجد والموجودة في النافورة نفسها. أي أنه هناك ارتباط كبير بين عمارة المسجد وعمارة النافورة نفسها.

٢ – تتفق جميع الأهداف الوظيفية المستخدمة في النوافير وإن اختلفت أشكالها وطرق معالجتها.

٣ – تتميز جميع النافورات بوجود محاور تصميمية متعددة لها وتتميز بتماثلها من حيث تعدد الأسطح وتشكيلها المتميز والذي يتميز بتنوعه وغناه بالزخارف الهندسية أو النباتية أو الخطية المتجانسة كما تتميز جميعها بتوازن الكتلة فيها.

٤ – يلاحظ أن أجملها هي التي يتوافر بها المقياس الإنساني أو ذات النسب والتناسب بين أبعادها المعمارية المتناسقة.

٥ – يلاحظ أن التشكيلات والزخارف الهندسية سواء للعناصر المعمارية أو الموجودة على بدن وحوائط النافورة قد تزيدها جمالا وإن لم توجد فإنها لا تقلل من قيمتها المعمارية حتى وإن تميزت بالبساطة كما في حالة بعض النوافير.

٦ – أثناء البحث العملي/الميداني لرفع هذه النافورات قامت مجموعة من الباحثين بمراجعة وسؤال الموجودين للوضوء حول هذه النافورات وكان رد فعل الجميع لها بأنهم يفضلون المساجد التي يوجد بها نوافير الوضوء لأنها مريحة أكثر من المساجد التي توجد بها الميضأة العامة التقليدية المعروفة. وهذه تعد أحد أهم الاعتبارات في عملية التصميم والاستخدام.

جـ – الثالث: الاعتبارات الجمالية والقيم والثوابت التراثية والرمزية في العمارة الإسلامية.

مما سبق دراسته ومن عمل التحليل فإنه يتضح لنا فهم المعماري المسلم الذي قام بتصميم هذه النوافير الخاصة بالوضوء لمبدأ الوظيفية والغرضية النفعية والتي جاءت عنده في المقام الأول في عملية التصميم لتحقيق غرض الوضوء من أجل الصلاة في تصميم المساجد. ولا يعد توافر الاعتبارات الجمالية والزخرفية والرمزية في تشكيل الطابع المعماري للنافورة نقطة ضعف في عملية التصميم, بل جاءت هذه الاعتبارات الجمالية بعد تفكير المعماري المسلم وتصميمه لهذه الميضأة المميزة على شكل النافورة, والتي أصبحت نوعا من الإبداع المعماري يحسب له.

والغريب أنه على الرغم من ظهور هذه النافورات/الميضأة في العديد من المساجد الإسلامية القديمة (منذ عهد عمرو بن العاص – ٢١ هـ/٦٤٢م – وأبن طولون) إلا أن المستشرقين أهملوها على الرغم من توافر العديد من اعتبارات العمارة الغربية في تصميمها كتلك الموجودة في تصميم الكنائس والبازيليكات القديمة من ناحية التوازن والتماثل ووجود المحاور الوظيفية والتصميمية . والتي بنيت بعضها بعد هذه النافورات بعشرات ومئات السنين مما يثير العديد من الأسئلة وعلامات التعجب! عمن تأثر بمن, ولماذا؟

وأخيرا فإن الباحث يعتبرها دعوة مهمة لإعادة استخدام هذا العنصر المعماري المتميز في الوضوء – ليس كجزء من تراثنا العربي والإسلامي أو الديني فقط, بل وبسبب تعدد وظائفها الأخرى والتي تناولها الباحث.

المراجع

[١] والي، طارق. *المدينة والدولة – نظرية في العمران الإسلامي من الماضي إلى المستقبل*. البحرين، إصدارات بيت القرآن، المنامة. الطبعة الأولى، يوليو ١٩٩٦.

[٢] عزب، خالد. *تخطيط وعمارة المدن الإسلامية*. في كتاب"الأمة". الدوحة: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر، ١٩٩٧، العدد ٥٨.

[٣] أبا الخيل عبد العزيز. "العمران الإسلامي والسماء". *البناء السعودي*، العدد ١٠، غير معروف السنة.

[٤] عكاشة، ثروت. *القيم الجمالية في العمارة الإسلامية*. القاهرة، دار المعارف، فبراير ١٩٨١.

[٥] صفي الدين، عصام. "الأزهر الجامعة والجامعة". *البناء السعودية*، العدد ٥٨، فبراير مارس ١٩٩١.

شيحا، مصطفى. *الآثار الإسلامية في مصر – من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأيوبي*. القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، ١٩٩٢.

[٦] الخولي، محمد بدر الدين. *المؤثرات المناخية والعمارة العربية*. القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧م.

[٧] ستينو، ماهر. "استخدام المياه في تصميم الفراغات الخارجية للعمارة الإسلامية". *البناء السعودية*، العدد ١٠، السنة الثانية ص ١٠.

[٨] الوكيل، شفيق وسراج، محمد. *المناخ وعمارة المناطق الحارة*. القاهرة: دار نافع للطباعة والنشر (١٩٨٥).

[٩] شيحا، مصطفى. *الآثار الإسلامية في مصر، من الفتح حتى نهاية العصر الأيوبي*. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى (١٩٩٢).

[١٠] عبد الفتاح، أحمد كمال. "حول العمارة في مصر: منهج مقترح لتقييم الأداء التصميمي للمشروعات المعمارية"، *المجلة المعمارية*، جمعية المهندسين المعماريين المصرية، السنة الثالثة، ع ٧ ، ٨ (١٩٨٧)، ٦٤-٧٢.

Functionalization in Islamic Architecture: Analytical Study Of Functional and Esthetic Considerations in the Design of the Courtyard and Abolution Fountain in Mosques

Ahmed A. Afifi
Department of Architecture, Helwan University
Cairo, Egypt

Abstract: The paper sheds light on architectural debate in which "orientalists" have attempted to deny the link between Islamic architecture and "functionalism." Using five different mosques in Egypt as case studies, the paper examines the relationship between Islamic cleaning requirements and some elements of mosques architecture, in particular the courtyard and the central fountain-ablutery, an essential element found at the center of many mosque courtyards. Emphasis is placed on their functional, aesthetic and environmental aspects. These fountains reflect the importance of using water in Muslim's life. The research closes with a call for the consideration of such an architectural application of an Islamic prayer requirement in the design and construction of new mosques.